انطلقت بنا الحافلة إلى القدس ومعنا أحد المدرسين من الجامعة الشيخ يونس وكنا نريد أن تطير بنا الحافلة للوصول إلى القدس لنجعل أجسادنا درعاً لحماية المسجد الأقصى وطيلة الطريق كان الشيخ يحدثنا عن فضل هذه الأرض المقدسة وعن فضل الجهاد فيها حتى التهبت عواطفنا ومشاعرنا فوق التهابها الأصلي.

وصلنا المسجد الأقصى فوجدنا فيه أعداداً كبيرة من الرجال والنساء والولدان، تجمع كبير غير منظم كنا نحن حوالي ستين، تجمعنا في أحد أركان المسجد وشكلنا قيادة على رأسها إبراهيم، وكان الشيخ هو الموجه والمعبئ، تم تقسيمنا إلى عدة مجموعات أوكلت كل مجموعة بحماية أحد الأبواب التي يفترض أن يأتي منها المعتدون، لم يكن لدينا ما ندافع به غير أيدينا وما تيسر من العصي والحجارة، أخذنا مواقعنا وقد طلب منا عدم مغادرتها مهما كان خشية أن يهاجموا المسجد الأقصى من عدة أماكن، والجموع كونها غير منظمة فهي ستندفع إلى الباب الأول الذي ستأتي الأخبار أن الهجوم حصل منه.

تم تقسيم كل فرقة إلى مجموعتين لأداء الصلوات عند حلول وقتها مجموعة تصلي وأخرى تواصل الحراسة فإذا أنهت الأولى صلاتها احتلت مواقع الحراسة وذهبت الثانية للصلاة ثم عادت، حين حل الليل وسكنت الحركة وبدا أن الأمور قد تطول اتفق على أن تذهب المجموعة الأولى للنوم شطر الليل الأول ثم تعود لتذهب الثانية للنوم شطر الليل الثاني ومجموعة القيادة توزع الأوامر على كل الفرق بحيث كان العمل موحداً للجميع.

من ظلوا للحراسة بدأ الليل ببرده يتناوشهم، فسارع عدد من الأهالي لإحضار البطانيات الصوفية وأعطوا كل واحد منا واحدة ليلف نفسه بها، ونزلنا بجوار الجدران والأعمدة الحجرية نترقب تداعب خواطرنا كل تلك الأفكار الجميلة عن قداسة المكان والمراحل التي مر بها والتهامس بأننا والحمد لله قد نلنا شرف الرباط العلمي في الأقصى لنحميه بأجسادنا من أي عدو آثم.

تذكرنا إسراء ومعراج رسول الله ﷺ وتذكرنا الناصر صلاح الدين واغرورقت العيون بالدموع وسُمع نحيب البعض، بدلتنا المجموعة الثانية عند منتصف الليل فأعطيناهم البطانيات ليلتفوا بها والحجارة ليتسلحوا بها، وانطلقنا إلى صحن المسجد الأقصى نفترش بعض بسطه ونتغطى بالبعض الآخر، حتى أذان الفجر قمنا وتوضأنا وصلينا الفجر مع المصلين.